

## فيصل لعبيبي والعودة الى الأساطير الشعبية

لندن – عبدالله حبه



حوار مع الفنان فيصل لعبيبي في لندن

إن العراق اليوم بلد لا يشبه غيره من البلدان، وفيه نظام مبتكر لا يعرفه أي بلد من بلاد الأرض . فعلى أراضيه تغطي قوى لا تطيق سماع أي شئ عن الثقافة، بالرغم من وجود وزارة بإسم الثقافة ليس لها أي حضور فاعل في الحركة الثقافية. وتخلو البلاد من أي نشاط ثقافي حقيقي مما عرفته أجيال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. بينما تزدهر الثقافة العراقية في المهجر حيث يبذل الكتاب والفنانون والموسيقيون والمعماريون والمسرحيون والسينمائيون العراقيون في مختلف أصقاع العرض.

وقد حالفني الحظ أن إلتقي في لندن الفنان فيصل لعبيبي صاحي (من مواليد البصرة في عام 1947) أحد الرموز البارزة الفنية العراقية في المهجر. وكنت أتابع عبر وسائل الإعلام دوما نشاطه الفني من معارض تقام في مختلف العواصم وأشاهد لوحاته . وجذبتني على الأخص لوحاته "الشهداء" و"المقهى البغدادي" و"واقعة كربلاء" و"النساء" خلف جدارية آشورية. كما تابعت نشاطه الإجتماعي والوطني. وقد عرفت سابقا شقيقته الفنانة عفيفة لعبيبي التي درست في موسكو وتركت بعد



في ستوديو الفنان فيصل لعبيبي

رحيلها لوحة لا تزال معلقة على الجدار في شقة الكاتب الفقيد غائب طعمة فرمان. أن أول ما جذبني في الحديث مع فيصل لعبيبي هو أنه يمنح محدثه المودة في غير تحفظ ويكشف مكونات قلبه بلا قيود، مما يعكس صفاء الطبع وإعتدال المزاج والصدق. ولهذا دار حديث صريح بيننا حول الفن في العراق وإبداعه خلال أكثر من ثلاثين عاما منذ أن غادر الوطن في عام 1974 بعد إشتداد وطأة النظام الدكتاتوري، فدرس في البوزار في باريس ومن ثم في السوربون ، وبعد ذلك إستقر به المقام في بريطانيا في عام 1991.

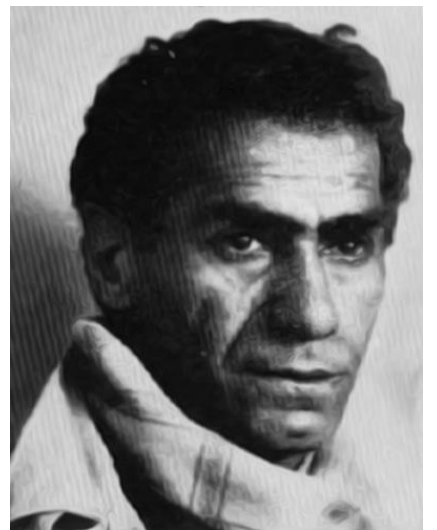
وقد إعترف فيصل بأن كافة المناهج الفنية في المجتمع الحديث نبعت من اوربا ومنها الفن التشكيلي والموسيقى والمسرح والرياضة وعموما الثقافة والفلسفة. كلها جاءت من اوربا. وبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية ظهر في العراق بعض الفنانين منهم جواد سليم الذي عمل في المتحف العراقي حيث ساهم في إصلاح بعض التماثيل. كما برز آخرون بينهم فائق حسن وحافظ الدروبي وأكرم شكري (وكان موظفا مسؤولا في المتحف أبان الحرب). والفن التشكيلي العراقي بدأ منهم وليس من عبدالقادر رسام وغيره من الفنانين الهواة الذين كانوا يرسمون لوحات جميلة حول مواضيع إجتماعية، لكنها ليست ذات قيمة فنية.



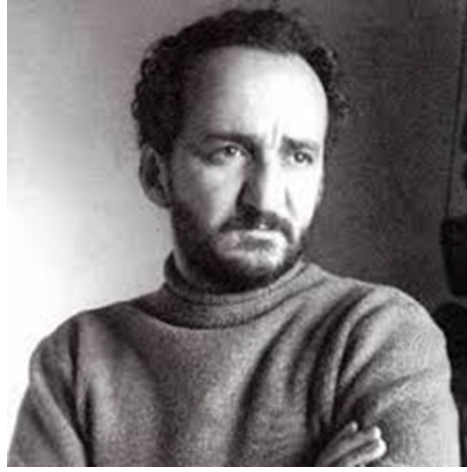
اكرم شكري



حافظ الدروبي



فائق حسن

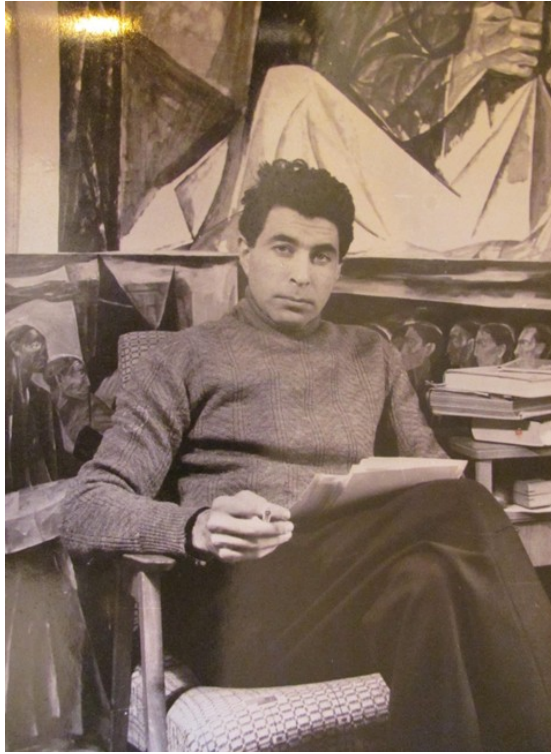


جواد سليم

إن جواد سليم بدأ برسم المجتمع، ومن هنا بدأت حركة الفن التشيكلي في العراق. ولا يجوز القول إنها مدرسة عراقية قائمة بذاتها. بل بدأ الفنانون برسم ما يحيط بهم من الاجواء العراقية والعناصر الجميلة في مشاهد الطبيعة على طريقة الإنطباعيين. وهكذا بدأت "جماعة الرواد" مع فائق حسن وإتسمت بمحاولات التوجه نحو الحداثة، ثم "جماعة بغداد" مع جواد سليم التي حاول الفنانون فيها العودة الى التراث القديم. وليس مصادفة أن قال فائق بعد رحيل جواد إنه "فقد نصفه". وظهرت جماعة "الشرق الأوسط" التي روجت للفن التجريدي وتأثر بها بعض الرسامين. كما جرت محاولات البحث عن الهوية ذات جذر ايدولوجي قام بها شاكر حسن آل سعيد ، وبدأ الحديث عن تكوين مدرسة بغداد بالاعتماد على مدرسة الواسطي. لكن لم تتكون مدرسة خاصة ببغداد.

وأضاف فيصل لعبي قائلا : يوجد رسم عراقي يتميز عن الفن في مصر وسوريا . لدينا شخصيات متميزة في الرسم . وأشير بهذه المناسبة الى اللوحة البارزة "البناء" لجواد سليم ، وقد قال جواد في حينه إنه شاهد الأسطى البناء أثناء عمله وجذبه زيه والتشراوية وموقع البناء. وأراد جواد تصويره في لوحة من النحت البارز، وتلاحظ فيها ملامح مدرسة شرقية. وأعتقد إنها لوحة من النحت البارز ذات سمة عراقية متميزة. وبرز عندئذ الموضوع العراقي في الفن التشكيلي. إن طارق مظلوم يعتبر من أقرب الفنانين الى أسلوب جواد ويلاحظ ذلك في لوحته "القرية". وتأثر كاظم حيدر بأسلوب جواد كما يظهر في لوحة "الشمع" ولوحة "الشهيد". وبرز فنانون آخرون كثيرون وبعضهم من الهواة المتميزين مثل قتيبة الشيخ نوري وخالد القصاب. وأستطيع الجزم بأن الفن العراقي ما زال يحتل مكانة الصدارة في العالم العربي.

ويمكن تمييز ثلاثة مسارات رئيسية في الفن العراقي هي : فائق حسن – تميز بإتباع التقنية الحديثة وغنى اللون والجو العراقي. وجواد سليم – إعتد أسلوب العودة الى التراث القديم. ومحمود صبري – رائد الفكرة الإجتماعية في الفن، ولن تجد في أعماله مواضيع أخرى (بإستثناء فترة "واقعية الكم" طبعا).



محمود صبري



وحسب قوله إن فترة ما بعد الحداثة في مطلع القرن العشرين شهدت غياب النظرة الفلسفية الى الحياة لدى الفنان ، وظهرت تيارات وصرعات مختلفة . ولو إن ماتيس تأثر بالمجتمع في المغرب ، بينما تأثر بول كليه بما شاهده في مصر . وإنعكست تلك التأثيرات في لوحاتهما.

وفي حديثه عن الحياة والدراسة في باريس قال فيصل إنه سافر الى هناك للدراسة على حسابه الخاص، لأن البعثات الدراسية كانت تتم على اساس المحسوبية لدى السلطات آنذاك . وفي معهد البوزار تعرف على صلاح جواد أحد ابرز الفنانين العراقيين في المهجر لكنه - حسب قوله - أضع الكثير من الفرص. وبرأيه إنه لم يحصل في البوزار على أي شئ جديد لأنه جاء الى هناك بعد تلقي دراسة أكاديمية جيدة في بغداد من حيث التقنية والمعارف العامة. ولكن الشئ الوحيد الذي توفر لديه في البوزار هو حرية الإبداع وزيارة المتاحف والمعارض والتعرف على أعمال الفنانين. وبعد ذلك سافر الى إيطاليا ومن ثم للعمل في الجزائر.



ضياء الغزاوي



صلاح جواد

وبرأي فيصل لعيبني إن الجو العام الآن في أوروبا يعكس انحطاط الثقافة والفنون عموماً. وظهرت جماعات مختلفة مثل جماعة فرانكفورت الذين يرون إن الإنسان الآسيوي الجاهل يتعامل مع الطبيعة بمحبة بعكس الأوروبي الذي دمر الطبيعة. وهناك جماعة الأنتي- آرت.

وقال أيضا إن مفاهيم الجمال تغيرت :- إدانة كل ما يجري في العالم -

إظهار القبح وليس الجمال - هذا جزء من موقف الفنان المعاصر من الأحداث في زمانه. ولا تنعكس في أعماله قيم جمال الطبيعة والحيوان والإنسان .

وباعتقاده إن الفن هو الدين النهائي للبشرية وقال : أنا متفائل في مستقبل العراق. ففي كل شهر يقام معرض لفنان ما في جمعية الفنانين العراقيين. وفي المهجر يعمل فنانون عراقيون كثيرون من بينهم ضياء العزاوي الأكثر ذكاء وشهرة. ولكنني لا أو من دور الفرد . إن مجتمع المؤسسات هو الذي سيسود في النهاية ، ونحن ما زلنا في مرحلة التطور الطفولية البريئة.

في الواقع إنني إنجذبت الى لوحات فيصل لعبيبي لدى مشاهدتها أول مرة إن جميع الأشخاص فيها ساكنة وشبيهة بالوجوه السومرية والآشورية والفرعونية. ففصل لا يهتم بالبعد الثالث، بإستثناء لوحات البوتريه. كما إن جميع موضوعات لوحاته مستوحاة من الحياة الشعبية في البصرة أو بغداد. أما المنظر الطبيعي فلا يحتل مكانة بارزة في إبداعه. وتبدو اللوحات الكبيرة التي تحتل المرأة مكانة بارزة فيها وكأنها من لوحات "الطبيعة الجامدة" (ستل لايف). ويبدو فيها الشخص الحليق الرأس او الذي يضع تشرافية على رأسه بعيونه الواسعة مثل الملك السومري جودا . إما الملصقات الجدارية فهي تذكرنا برسوم الواسطي .

إن فيصل لعبيبي عمل في الصحافة فترة طويلة ولاسيما في مجلة "الف باء" ، وأتقن فن رسم الكاريكاتير، لكن رسومه الساخرة تظهر بشكل جلي أيضا ميله للعودة الى التراث، الى الأساطير السومرية والبابلية وحكايات ألف ليلة وليلة ، وبهذا تتميز كافة إبداعاته من لوحات وجداريات ومنحوتات . إن فيصل فنان طويل الباع في هذا المضمار. ولو أنه يؤكد بأنه لا يتمسك بإسلوب معين، لكن المرء يستطيع التعرف على لوحاته من أول نظرة. إنه فنان عراقي حتى النخاع. وتأسس الفن العراقي اصلا على أساس وطني ، ولهذا فهو يرسم من أجل شعبه ووطنه.

2018/12/2